
ترجمة: محمد عبد العزيز
عدد
خاص
القصة التي تحولت لفيلم النافذة الخلفية
أظنها
جريمة قتل
كورنل وولريخ
قصة
مترجمة
كتوبيا
مكتبة بيت الحصريات
www.maktbbah.blogspot.com

لم أكن أعرف أسماءهم.

لم أسمع أصواتهم قط.

لم أكن أعرف شكلهم حتى، بالمعنى الحرفي للكلمة، فوجوههم كانت أصغر من أن تظهر لي واضحة من بعيد.

ومع ذلك، كان بإمكاني وضع جدولٍ زمني لمجيئهم وإيابهم، وعاداتهم وأنشطتهم اليومية، فقد كانوا سكان إحدى الشقق التي تُطِل عليها نافذتي الخلفية.

أفترض أنني كنت أتجسّس عليهم إلى حد ما، حتى أن من يراني ربما يظنني متجسسًا مختلًا.

لم يكن هذا خطئي، الفكرة هي أن تحركاتي كانت محدودة للغاية وقتئذٍ. يمكنني التحرك من النافذة إلى السرير، ومن السرير إلى النافذة، وكان هذا كل شيء. كانت النافذة البارزة هي أفضل ميزة في غرفة نومي الخلفية بالطقس الدافئ. ليس هناك ما يحجُب الخارج عنها، لذلك اضطررت للجلوس والضوء مُطفأ، وإلا لزارتني كل حشرات المدينة.

لم أستطع النوم، لأنني كنت معتادًا على ممارسة كثيرٍ من التمارين. لم يسبق لي أن كوّنت عادة قراءة الكتب لدفعِ الملل، لذلك لم يكن لدي ما ألجأ إليه. حسنًا، ماذا عليّ أن أفعل؟ أجلس هناك وعيناي مغلقتان بإحكام؟

أمامي مباشرة، هناك زوجان شابّان متوتران تزوجا توًا، لم يبقيا

في المنزل ليلة واحدة. كلًا دائمًا في عجلة من أمرهما للذهاب، أيًا كان المكان الذي يذهبان إليه، لم يتذكّرا إطفاء الأنوار. لا أعتقد أن هذا لم يحدث مرة واحدة طوال الوقت الذي كنت أراقب فيه.

لكنهما لم ينسيا تمامًا أيضًا، تعلمت تسمية هذا بـ«ردالفعل المتأخر»، كما سترى.

كان الزوج يعود دائمًا مسرعًا بجنون مرة أخرى في خلال حواليَ خمس دقائق، ربما بعد أن يكونَ قد وصلَ لنهاية الشارع، ويُغلق مفاتيح الإضاءة كلها، ثم يتعثّر في شيء ما في الظلام وهو خارج. كان هذان الاثنان يثيران ضحكي، لكنني كنت أحاول أن أخفي ضحكتي قدر الإمكان.

وأما المنزل التالي بالدور الأسفل، فقد ضاقت نوافذه أمامي قليلًا بسبب الزاوية التي أنظر منها. كان هناك ضوء معيّن في ذلك المنزل، دائمًا ما يضيء كل ليلة أيضًا. كان هناك شيء ما في تلك الشقة يبعث فيّ الحزن بعض الشيء. هناك امرأة تعيش مع طفلتها، أرملة شابة على ما أفترض. كنت أراها تضع كان هناك ضوء معيّن في ذلك المنزل، دائمًا ما يضيء كل ليلة أيضًا. كان هناك شيء ما في تلك الشقة يبعث فيّ الحزن بعض الشيء. هناك امرأة تعيش مع طفلتها، أرملة شابة على ما أفترض. كنت أراها تضع الطفلة في الفراش، ثم تنحني وتقبلها بحزن. كانت تطفئ الأنوار في غرفة الفتاة، وتجلس في غرفتها لتتزيّن بأحمر الشفاه وظل العينين. ثم

تخرج. لا تعود أبدًا إلا عند اقتراب الليل من نهايته.

مرةً كنت لا أزال يقِظًا، ونظرت، وكانت جالسة هناك بلا حراك، تدفن رأسها بين ذراعيها. جعلني شيء ما بخصوص ذلك حزينًا.

وأما البيت الثالث، فلم يكن يقدّم لي شيئًا، كانت النوافذ مجرّد شقوق مثل فتحات في سور من القرون الوسطى.

هذا يقودنا إلى الشقة الموجودة في النهاية. كنت أتمكن من رؤية كل شيء في تلك الشقة الأخيرة بسهولة؛ كانت زاوية الرؤية مثالية من النافذة البارزة ببيتي، فأرى ما فيها بحرية كما لو كانت بيت دميةٍ موضوع أمامي.

كان مبنى مسطحًا. على عكس البقية، فقد بُنِيَ في الأصل على هذا النحو، وليس فقط تم قُسِّم إلى غرف مفروشة. كان سطح المبنى يعلوهم بطابقين، وكان له مخرج حريقٍ خلفي لإظهار تميزه. لكنه كان مبنى قديمًا، وواضح أنه لم يحقق ربحًا. كان المبنى في مرحلة التجديد. وبدلًا من إخلاء المبنى كاملًا في أثناء العمل، فقد كانوا يعملون في الشقق تباعًا، من أجل خسارة أقلّ في دخل الإيجار. من بين الشقق الستة الخلفية التي يمكنني رؤيتها، كانت أعلى شقة منها قد اكتملت بالفعل، ولكن لم تُؤجر بعد.

كانوا يعملون في الطابق الخامس الآن، مما يعكّر صفوَ جميع من عَلَاهم وأسفلهم من ساكني بقية المبنى، بسبب صوت الدق والنشر. شعرت بالأسَى على الزوجين في الشقة أسفلها. كنت أتساءل كيف

تحملًا كل هذا الهَرَج الذي يدور فوق رأسيهما. ما يزيد الأمر سوءًا أن الزوجة كانت في حال صحية سيئة على الدوام أيضًا؛ استطعت أن ألاحظ هذا حتى من بعيد، من ثقل تحركاتها، وكيف تبقى في روب حمامها دون أن ترتدي ملابس خروج. أحيانًا كنت أراها جالسةً بجوار النافذة تمسك رأسها. اعتدت أن أتساءل لماذا لم يجلب الزوج طبيبًا ليفحصها؟ ربما لا يستطيعون تكاليفه؛ يبدو أنه عاطل.

في كثير من الأحيان، كان ضوء غرفة النوم مضاءً في وقت متأخر من الليل خلف الستائر المغلقة، كأنها كانت مريضة وهو يرعاها. وذات ليلةً، لا بد أنه اضطر إلى الجلوس معها الليل كله، وظلت الأنوار مضاءة حتى الفجر تقريبًا.

ليس معنى هذا أنني أراقب كل شيء طيلة الوقت، لكن الضوء لم يُطفأ حتى الثالثة صباحًا عندما انتقلت أخيرًا من الكرسي إلى السرير لمعرفة ما إن كان بإمكاني أخذ قسط من النوم. وعندما فشلت، ورجعت مرة أخرى عند الفجر، كان لا يزال الضوء ظاهرًا من خلف الستارة.

بعد لحظات، مع أول سطوع لضوء النهار، تضاءل الضوء فجأة على حواف الستارة، ثم بعد ذلك بوقت قليل، ارتفعت ستارة أخرى في إحدى الغرف الأخرى -جميعهم كانوا مسدلين- ورأيته يقف هناك وينظر للخارج.

كان يحمل سيجارة في يده، لم أتمكن من رؤيتها، لكن كان

بإمكاني القول إنه كان يقوم بإحدى تلك الحركات العصبية الصغيرة، إذ ظل يضع يده على فمه، ثم يزيحها، وكذلك لمحت الضباب الذي يُغيّم حول رأسه.

قلقٌ عليها، على ما أعتقد.

لم ألمه على ذلك. أي زوج سيتصرف هكذا. لابد أنها قد نامت لتوّها، بعد معاناة الليل الطويلة. ثم بعد ساعة تقريبًا، من المقرر أن يبدأ نشر الخشب وقعقعة الدلاء ثانية. حسنًا، لم هذا كله من شأني، هكذا قلت لنفسي، لكن عليه حقًّا إخراجها من هناك؛ لو كانت لي زوجة مريضة لكنت فعلتها.

كان الرجل يميل قليلًا إلى الخارج، ربما لمسافة بوصة من النافذة، ويفحص بدقّةٍ الجهة الخلفية لجميع المنازل المتاخمة للميدان الخالي الذي يقع أمامه. يمكنك أن تلاحظ، حتى من مسافة بعيدة، عندما ينظر الشخص بثبات، هناك خطب ما في وضع الرأس. ومع ذلك، لم يكن تحديقه ثابتًا على نقطة واحدة، بل كانت نظراته بطيئة، شاملة، متحركة على طول البيوت على الجانب الآخر من مبناي أولًا.

عندما وصلت نظراته إلى نهاية المبنى، علمت أنها ستمر بنافذتي. قبل أن يحدث ذلك، انسحبت عدة ياردات داخل غرفتي؛ حتى لا يراني. لم أكن أريده أن يعتقد أنني أجلس هناك متطفلًا. كان لا يزال هناك ما يكفي من خيوط الليل الزرقاء في غرفتي لتمنع عيناه من

رؤية انسحابي. عندما عدت إلى موقعي الأصلي بعد لحظة أو اثنتين، كان قد رحل.

لقد رفع ستارتين، لكن ستارة غرفة النوم كانت لا تزال مسدلة. تساءلت في سري عن سبب مراقبته بتلك الطريقة الغريبة كلَّ النوافذ الخلفية من حوله. لم يكن هناك شخص في أي منهم في مثل هذه الساعة. لم يكن ذلك مهمًا بالطبع. كانت مجرد ملاحظة غريبة، لا تتماشى مع قلقه أو انزعاجه بشأن زوجته. عندما تكون قلقًا أو منزعجًا، فهذا انشغال داخلي، ووقتها تحدق في الفراغ. أما عندما تطلق بصرك بتلك الطريقة نحو النوافذ المحيطة، فإن هذا يتعارض مع الانشغال الداخلي، ويدل على الانشغال الخارجي، ويدل على اهتمامك بما يدور بالخارج. لا ينسجمان. إن ملاحظة مثل هذا التناقض التافه هو نقطة مهمة. فقط شخص مثلي، غارق في الفراغ والخمول، هو من يمكن أن يلاحظ مثل ذلك..

بقيت الشقة بعد ذلك ساكنة، بقدر ما يمكن الحكم عليها من خلال نوافذها. لا بد أنه قد خرج أو ذهب إلى الفراش أيضًا.

بقيت ثلاث ستائر مرتفعة، وظلت الستارة التي تخفي غرفة النوم منخفضة. دخل «سام»، عامل منزلي اليوم، خلال وقت قصير وهو يحمل بعض البيض لي ومعه جريدتي الصباحية، وقضيت مع الصحيفة وقتًا. توقفت عن التفكير في نوافذ الآخرين والتحديق بهم.

كانت الشمس مائلة على جانب واحد من المستطيل المجوّف الذي يشكّل المبنى طوال الصباح، ثم انتقل القرص البرتقالي إلى الجانب الآخر بفترة بعد الظهر. ثم بدأ ينزلق لأسفل، وحلّ المساء مرة أخرى؛ ها قد مضى يوم آخر.

بدأت الأضواء تظهر على أنحاء المبنى رباعي الزوايا. تصاعدت أصوات خاطفة من برنامج إذاعي يُذاعُ بصوت عالٍ جدًا، إذا أطرقتَ السمع، فقد تسمع من حين لآخر قرقعة أطباق، أصوتًا باهتةً، بعيدة.

كلٌ مكبّل بقيود العادات الصغيرة الثابتة التي تميز حياتهم. كانوا جميعًا مقيّدين بها بإحكام أقوى من أقوى سترة مقيدة ابتكرها أي سجان، على الرغم من أنهم اعتقدوا جميعًا أنهم أحرار.

شقّت الحشرات الليلية طريقها نحو الأماكن المفتوحة. اكتشف الجار أنه نسي الأنوار مضاءة، فعاد متّجهًا مرة أخرى للشقة وأطفأها، وظلت شقتهما مظلمة حتى الصباح الباكر.

وضعت المرأة طفلتها في الفراش، وانحنت حزينة إلى سريرها، ثم جلست يئسةً تضع أحمر الشفاه.

وأما شقة الطابق الرابع التي تقع بزاوية قائمة على الممر الداخلي الطويل، فقد ظلت الستائر الثلاثة مرتفعة بها، بينما بقيت الستارة الرابعة مُسدلة طوال اليوم. لم أكن أدرك ذلك لأنني لم أكن أنظر إليه أو أفكر فيه خاصة، حتى الآن. ربما استقرّت عيناي على تلك النوافذ

أحيانًا في أثناء النهار، لكن أفكاري كانت في مكان آخر. لم أدرك أن أحدًا لم يمسّ الستائر طوال اليوم إلا عندما انطلق ضوء فجأة في الغرفة الخلفية خلف إحدى الستائر المرتفعة، كان مطبخهم. خطرت لي أيضًا فكرة أخرى: لم أرَ المرأة طوال اليوم، لم أرَ أيّة علامة على الحياة داخل تلك النوافذ حتى الآن.

جاء من الخارج، كان المدخل في الجانب الآخر من المطبخ، بعيدًا عن النافذة. كان يرتدي قبعته؛ فعلمت أنه قد أتى توًا من الخارج.

لم يخلع قبعته كأن لا سبب يدفعه لهذا. بدلًا من ذلك، حرّكها إلى مؤخرة رأسه أكثر بمَدّ يده إلى جذور شعره. هذه الإيماءة لا تدل على مسحِ العرق؛ لأنه للقيام بذلك، يمسح الشخص بجانب رأسه، أما هو فقد مسَح فوق جبهته؛ إشارةً إلى المضايقة أو الشك. إلى جانب ذلك، إذا كان يشعر بالحر فإن أول شيء كان سيفعله هو خلع قبعته تمامًا.

لم تخرج الزوجة لاستقباله. الحلَقة الأولى، من سلسلة العادات القوية جدًا التي تربطنا جميعًا، قد انكسرت وانفتحت.

لا بد أنها كانت مريضة حتى بقيت في السرير في الغرفة خلف الستارة المنخفضة طوال اليوم. ظللت أراقبهما. بقي مكانَه على بعد غرفتين من الغرفة الخلفية. ظننت أنه من الغريب أنه لا يطمئن عليها. أو على الأقل يذهب بعيدًا حتى المدخل، وينظر إلى الغرفة ليرى حالها. ربما كانت نائمة ولم يرغب في إزعاجها. ثم فكرت فورًا:

ولكن كيف يمكنه أن يَتَيقَّن أنها نائمة وهو لم ينظر إليها على الأقل؟ لقد دخل للتو من الخارج بمفرده.

تقدّم إلى الأمام ووقف بجانب النافذة، كما فعل عند الفجر. كان «سام» قد حمل صينيتي للخارج منذ وقت، وكانت أنواري مطفأة. تمسّكت بمكاني، أعلم أنه لا يمكنه رؤيتي في ظلمة النافذة البارزة. وقف هناك في سكون لعدة دقائق. الآن تدل تصرفاته على الانشغال الداخلي فقد وقف ينظر إلى الأسفل إلى الفراغ، وبدا أنه غارق في أفكاره. قلت لنفسي إنه قلِقٌ عليها كأيِّ رجل، إنه شيء طبيعي. الغريب، على الرغم من ذلك، أنه ظل في الظلام هكذا بعيدًا عنها. إن كان يشعر بالقلق فعلًا، فلماذا لم يُلقِ نظرة عليها على الأقل عند عودته؟ كان واحدًا من تلك التناقضات التافهة، بين الدافع الداخلي والتصرفات الخارجية.

وبينما أفكر في هذا، تكرّرت الأحداث الأصلية التي لاحظتها عند الفجر. ارتفع رأسه بيقظة وانتباه، وأمكنني رؤية أنه بدأ إعطاء تلك المسحة الدائرية الرتيبة للنوافذ الخلفية مرة أخرى.

صحيح أن النور كان خلفه هذه المرة، ولكنْ ضوءًا كافيًا سقط عليه لأرى ذلك التحول الضئيل، ولكن المستمر في اتجاه رأسه في أثناء هذه العملية. بقيتُ ساكنًا أنظر حَذِرًا حتى مرت نظراته على مكاني بسلام.

تساءلت عن سبب اهتمامه بنوافذ الآخرين؟ وبالطبع أضاءت فكرةٌ

مع هذا السؤال في الوقت نفسه تقريبًا: انظر من يتحدث؟ ماذا عنك؟ فثمة فارق مهم بيننا، إذ لم أكن قلقًا بشأن شيء. أما هو، فواضح أنه كان قلقًا.

نزلت الستائر ثانيةً، بقيت الأضواءُ خلف عتمة لون الستائر «البيج»، ولكن ظلت الغرفة مظلمةً خلف الستارة التي كانت مُسدَلة طوال الوقت.

مر الوقت. يصعب تحديد المدة، ربع ساعة أو عشرون دقيقة.

ارتفع صرير صرصور من إحدى الساحات الخلفية. جاء «سام» ليرى ما إذا كنت أرغب في شيء قبل أن يعود إلى منزله الليل كله. قلت له لا، لا أحتاج شيئًا، كان كل شيء على ما يرام، ويمكنه الرحيل.

وقف دقيقةً، ثم اتجه للأسفل. ثم رأيته يهزُ رأسه قليلًا، كأنّ شيئًا لم يعجبه. سألته:

- ماذا جرى؟

- هل تعرف ما معنى ذلك؟ قالت لي أمي العجوز شيئًا، ولم تكذب عليّ قط في حياتها. لم يحدث خِلاف كلامها أيضًا.

- ماذا؟ صوت الصرصور؟

- إن سمعت أحد هذه الأشياء، فهي علامة على الموت في مكان ما بالقرب منك.

لوّحت بظهر يدي في وجهه مجيبًا:

- حسنًا، الموت ليس هنا، لذا لا تدع الأمر يقلقك.

خرج وهو يغمغم بعِناد:

- إنه في مكان ما قريب بالتأكيد. لا بد أن يكون في مكان ما قريبٍ جدًا.

ثم أغلق الباب خلفه، وبقيت وحدي في الظلام.

كانت ليلة خانقة، أكثر بكثير مما كانت عليه من قبل. بالكاد أتنفس بالرغم من النافذة المفتوحة التي جلست عندها.

تساءلت كيف يمكنه -ذلك المجهول هناك- تحمل الجو الحار وراء تلك الستائر المسدلة. وفجأة، في اللحظة نفسها التي كانت تلك التكهنات الخاملة حول الأمر برمته على وشك أن تدور بثبات في ذهني، فتتبلور في صورة شعور كالشك، ارتفعت الستائر، وانطلقت عيناي تفتشانِ في أركان الشقة المُستباحةِ لي. كان عند النافذة الوسطى، نافذة غرفة المعيشة. كان قد خلع عنه معطفه وقميصه، ولم يعد يرتدي إلا قميصه الداخلي عديم الأكمام.

لم يكن قادرًا على تحمل الجو أيضًا، على ما أعتقد بسبب الإثارة.

لم أستطع معرفة ما كان يفعله. بدا أنه مشغول، يتحرك بشكل عمودي، صعودًا وهبوطًا. انحنى واعتدل كثيرًا.

استقرَّ في مكان واحدٍ، لكنه ظلَّ ينخفض بعيدًا عن الأنظار ثم يعتدل مرة أخرى، في فترات غير منتظمة. كان المنظر أشبه

بتمارين الجمباز، باستثناء أن الانحناءات والاعتدالات التي تتبعها لم تُوقَّت بالتساوي. أحيانًا يظل بالأسفل لوقتٍ طويل، وأحيانًا يعتدل على الفور، وأحيانًا ينزل مرتين أو ثلاث مرات بتعاقب مريع. لم تظهر كثيرٌ من التفاصيل بسبب المسافة.

رأيته يعتدل متَّجِهًا إلى الخارج، وانحنى إلى الأسفل، نحو جزء آخر من الغرفة، ثم اعتدل وقد أمسك بشيء ما ظهَر لي وكأنه شعارات متباينة الألوان.

عاد خلف النافذة وترك جِملَه يسقط نحو منطقة خارج نطاق بصري انخفض بعيدًا عن نظري، وبقي على هذه الحال لفترة ظلّ يلقي أشياءَ كأنها رايات مختلفة ألوانها، أمام عيني مباشرة، فَبَدَا لي لحظتها شيء له شكل حرف V اللاتيني لي عينان قويتان. في لحظة كانت تلك الرايات بيضاء، وفي التالية صارت حمراء، ثم صارت زرقاء، ثم فهمت!

كانت فساتين نسائية، وكان يسحبها نحوه واحدًا واحدًا، ويأخذ أعلى واحدٍ في كل مرة. بالتأكيد يضعها في حقيبة سفر أو ما شابه. فجأة انتهى من فِعْلتِه، وعاد جسده ظاهرًا بالكامل. فهمت ما يفعله الآن. تلك الفساتين أوضحت وأكّدت الموضوع بالنسبة لي!

فرَدَ ذراعيه إلى نهايات حرف V وأمكنني رؤيته يلهث مُرهقًا، كما لو كان عليه ضغط ما، وفجأة انطوى حرف V ليصبح شكلًا مكعّبًا أمامي. ثم أدّى بعض الحركات بيده، لم أفهمها بالكامل، لكن يمكن

تخمينها.

كان يحزم صندوقًا، ويضع أغراض زوجته في هذا الصندوق الكبير. عاد للظهور عند نافذة المطبخ الآن، ووقف ساكنًا للحظة. رأيته يمرّ بذراعه على جبهته، ليست مرة واحدة، بل عدة مرات، ثم يهزّ كفه. بالتأكيد، كان الجو حارًا وقد بذل بعض المجهود. ثم وصل للجدار وأنزل شيئًا. لأنه كان في المطبخ، فكان عليّ رسم بقية المشهد، خزانة وزجاجة، كنت أرى يده ترتفع إلى فمه بكوب بسرعة مرتين أو ثلاث بعد ذلك. قلت لنفسي بتسامح: هذا ما يفعله تسعة رجال من عشرة بعد تعبئة صندوق الأمتعة، تناوُل مشروبًا قويًا. وإن لم يفعل الرجل العاشر هذا، فلأنه لا يملك مشروبًا في متناول اليد.

ثم اقترب الرجل من النافذة، ووقف بجانبها، إذ لم يظهر منه سوى جزء صغير من رأسه وكتفه، حدّق بحذر في الشكل الرباعي المعتم، على طول خط النوافذ، والتي كان معظمها مظلمة الآن، مرة أخرى.

كان دائمًا يبدأ من الجانب الأيسر الجانب المقابل لي، ويقوم بدائرة التفتيش من هناك. كانت تلك المرة الثانية التي رأيته فيها يفعل ذلك في الليلة نفسها. ومرة في الفجر رأيته يفعلها ثلاث مرات ابتسمت في سرّي قد يعتقد من يراه أنه شعور بالذنب حيال شيء ما ربما لم يكن شيئًا مهمًا، مجرد عادة صغيرة غريبة، لا يعلم هو نفسه أنها لديه أنا أيضًا لدي مثلها جميعنا لدينا.

شاهدته ينسحب من الغرفة، وراقبتُ ظلّ جسده الذي انتقل إلى

الغرفة المجاورة لها، والتي كانت لا تزال مضاءة، وهي غرفة المعيشة.

أظلمت غرفة المعيشة بعد ذلك. لم يفاجئني أن الغرفة الثالثة، غرفة النوم ذات الستائر المسدلة، لم تُضئ عند دخوله هناك. لا يريد أن يزعجها بالطبع، خاصة إذا كانت ستغادر غدًا من أجل صحتها، مثلما يُظهر موضوع حزم المتاع. احتاجت إلى كل ما يمكن أن تحصل عليه من راحة قبل الرحلة. يكفي المجهود الذي سيبذله للوصول إلى السرير في الظلام.

على الرغم من ذلك، فقد فوجِئتُ عندما غمرَ ضوءُ عودِ ثقابٍ المكانَ بعد مُضيّ وقتٍ، آتيًا من غرفة المعيشة الكاحِلة. لا بد أنه مستلقٍ هناك، يحاول النوم على أريكة أو شيء ما طوال الليل. لم يقترب من غرفة النوم على الإطلاق، وكان ينأى عنها تمامًا. هذا حيّرني بصراحة. كان ذلك يحمل كثيرًا من التعاطف، أكثر مما يستحقه الموقف في الواقع.

بعد عشر دقائق تقريبا، كانت شُعلة عود ثقاب آخر تضيء، من نافذة غرفة المعيشة نفسها. يبدو أنه لم يستطع النوم. كانت الليلة مُفعَمة بالحيوية علينا سواءً، الجار الفضولي -الذي هو أنا بلا فخر- القابع قرب النافذة البارزة، والمُدخِّن الشره في شقة الطابق الرابع. كان الصوت الوحيد الطاغي هو صرير الصراصير اللانهائي.

عدت إلى النافذة مع أول أشعة شمس في الصباح. ليس بسببه.

كانت مرتبتي مثل سرير من الجمر.

وجدني «سام» هناك عندما جاء لتجهيز أموري. كان كل ما قاله:

- ستصبح حطامًا يا سيد «جيف».

لفترة، لم تكن هناك أي علامة على وجود الحياة بالشقة إياها، ثم فجأة رأيت رأسه يظهر من مكان ما، نائيًا عن الأنظار في غرفة المعيشة، فعلمت أنني كنت على حق؛ لقد أمضى الليل على أريكة أو كرسي مريح هناك. الآن، بالطبع، سيلقي نظرة عليها، ليطمئن عليها، ليراها أتَحَسّنت أم لا. هذا فقط هو الشعور الإنساني الطبيعي. إذ لم يبقَ قربها، بقدر ما أمكنني أن أرى، منذ ليلتين.

لكنه لم يفعل..

ارتدى ثيابه، وذهب في الاتجاه المعاكس، إلى المطبخ، يفعل شيئًا وهو واقف مستخدمًا كلتا يديه. ثم استدار فجأة وتحرك جانبًا، في الاتجاه الذي عرفت أن مدخل الشقة فيه، كما لو سمع للتو مناديًا من الخارج، أو سمع جرس الباب.

عاد بعد لحظة، وكان معه رجلان يرتديان مآزر جلدية. رجال توصيل.

رأيته واقفًا بينما كانا يناوران بشق الأنفس ذلك الصندوق الأسود المكعب -الذي كان يملأه بثياب الزوجة البارحة - بينهما، وهما يحاولان دفعه في الاتجاه الذي أتيا منه للتو. لم يفعل أكثر من الوقوف. لا، الواقع أنه كان يحوم حولهما عمليًا، وظل ينتقل من

جانب إلى آخر، وكان حريصًا على أن تسير العملية بشكل سديد.

ثم عاد بمفرده، ورأيته يمرر ذراعه على رأسه، كما لو كان هو، وليس هما، من تعرق من فرط الجهد المبذول.

إذن كان يُرسل صندوقها إلى حيث كانت ذاهبة. هذا كل شيء.

مدَّ يده نحو الجدار مرة أخرى وأنزل شيئًا. احتسى شرابًا آخر. اثنين. ثلاثة. قلت لنفسي، وأنا في حيرة من أمري: نعم، لكنه لم يحزم صندوقًا هذه المرة. كان هذا الصندوق معبأ وجاهزًا منذ الليلة الماضية. من أين أتى الجُهد؟ العرق والحاجة إلى شرب خمرٍ ليتقوّى به؟

الآن، أخيرًا، بعد كل تلك الساعات، ذهب إليها.

رأيت ظِلّه يمر عبر غرفة المعيشة ويتجاوزها، إلى غرفة النوم. دخل الغرفة، ثم أدار رأسه ونظر خلفه بطريقة مُلفتة طريقة معينة لا لَبس فيها، ظاهرة حتى من حيث كنتُ لم يكن ينظر في اتجاه معين، كما ينظر المرء إلى شخص ما لكنه ينظر من جنبٍ إلى جنب، ومن أعلى إلى أسفل، وفي كل مكان، كما ينظر المرء إلى غرفة فارغة.

تقهقَرَ انحنى قليلًا، وحرك ذراعيه، وانقلب فراش ومرتبة لا أحد عليهم عند قدم السرير، وقف الرجل للحظة عند قدم السرير الفارغ المطوي. تبعه بسريرٍ ثانٍ بعد لحظة.

لم يكن هناك أحد بالغرفة كل هذا الوقت من الأصل!

يستخدمون التعبير «رد فعل متأخر» لوصف مثل هذا الموقف. اكتشفت بعد ذلك ما يعنيه ذلك. ليَوْمين، كان هناك نوع من القلق الذي لا شكل له، الشك غير المتجسد، لا أعرف ماذا أسميه، كان يرفرف ويدور في ذهني، مثل حشرة تبحث عن مكان للهبوط.

أكثر من مرة، كلما كاد يذوي فضولي، تحدث بعض الأشياء الطفيفة، مثل رفع الستائر بعد أن كانت مسدلة لفترة طويلة بشكل غير طبيعي، كانت مثل هذه الأشياء كافية لإبقاء فضولي محلّقًا بلا هدف، ومنعه من التركيز لفترة طويلة بما يكفي، لأدرك حقيقة ما يحدث أمامي.

كانت نقطة الاتصال موجودة طوال الوقت في عقلي، في انتظار استلام الفكرة المجنونة لإدراك ما حدث.

الآن، لسبب ما، في جزء من الثانية بعد أن رمى الحشايا الفارغة، هبطت تلك الفكرة عليّ فجأة! وتحولت إلى يقين مطلَق!

بعبارة أخرى، كان الجزء العقلاني من ذهني بعيدًا عن الجزء الغريزي غير الواعي. رد الفعل المتأخر الآن لحق أحدهما بالآخر. كانت الرسالة الفكرية التي انطلقت من عقلي في تلك اللحظة هي: لقد فعل شيئًا لها!

قلت لنفسي بثبات: الآن، انتظر دقيقة، كن حذرًا، تصرف بروية. أنت لم ترَ شيئًا. أنت لا تعرف شيئًا. ليس لديك غير الملاحظة

السلبية المتعلقة بغيابها. كان «مام» يقف هناك ينظر إليّ من غرفة الخزين. قال متهمًا:

- أنت لا تبذل أي مجهود، ومع ذلك صار وجهك شاحبًا للغاية.

شعرت بكلامه. كان لدي ذلك الشعور بالوخز عندما يهجر الدم وجهي بشكل عفويّ. أردت إبعاده عن الطريق لأمنح نفسي مساحة كافية للتفكير بهدوء، أكثر من أي شيء آخر فقلت له:

- «مام»، ما اسم الشارع الذي توجد فيه تلك البناية هناك؟ لا تخرج رأسك عبر الشباك وتنظر نحوه.

حك مؤخرة رقبته مفكرًا:

- اسمٌ يشبه «بينيديكت» أظن..

- أعلم هذا بالفعل. أيمكنك الذهاب عند الناصية ومعرفة رقم البناية بالضبط؟

- لماذا تريد معرفة ذلك؟

هكذا سألني وهو يستدير للذهاب.

- ليس من شأنك.

هكذا قلت بحزم كافٍ لمنعه من سؤالي مرة أخرى عن هذا الموضوع. ناديته بينما كان يغلق الباب:

- وفي أثناء قيامك بذلك، اذهب إلى المدخل، وانظر إن كان

بإمكانك معرفة اسم من يسكن شقة الطابق الرابع الخلفية من صناديق البريد؟ لا تجلب لي رقم شقة أخرى. وحاول ألا تدع أي شخص يمسك بك وأنت تفعلها.

خرج يتفتم بشيء بذا مثل: «عندما لا يكون لدى الرجل ما يفعله سوى الجلوس طوال اليوم، فمن المؤكد أنه يستطيع التفكير بأكثر الأشياء تفاهة». ثم أغلق الباب قبل أن أرد عليه، وبدأت التفكير

قلت لنفسي: ما الذي تبني عليه هذا الافتراض البشع حقًا؟ دعنا نرى ما لديك. هناك عديد من الأشياء الصغيرة الخاطئة في طريقة تسلسل الأحداث، سلسلة عاداتهما اليومية هناك.

١. كانت الأضواء مضاءة الليل كله في الليلة الأولى.

٢. جاء الزوج متأخرًا عن المعتاد في الليلة الثانية.

٣. ظلّ مرتديًا قبعته.

٤. لم تخرج الزوجة لاستقبالِه، ولم تظهر منذ المساء الذي ظلّت فيه الأنوار مضاءة طوال الليل

٥. تناول الزوج مشروبًا بعد أن عبّأ متاعها. لكنه تناول ثلاث مشروبات في صباح اليوم التالي فور خروج صندوقها.

٦. كان الزوج منزعجًا وقلقًا داخليًا، وفوق هذا، هناك منبع قلقٍ خارجي غير طبيعي بشأن النوافذ الخلفية المحيطة، وهذا القلق غير متّسقٍ مع تفاصيل الموقف

٧. كان ينام في غرفة المعيشة، لم يقترِبْ من غرفة النوم خلال الليلة التي سبقت مغادرة الصندوق.

جيد جدًا. إن كانت الزوجة مريضة في الليلة الأولى، وكان قد أرسلها بعيدًا خوفًا على صحتها، فهذا يلغي تلقائيًا النقاط ١، ٢، ٣، ٤. ويترك النقطتين ٥ و٦ بغير أهمية على الإطلاق. ولكن عندما واجه نقطة ٧، اصطدمت ١ بحجر عثرة.

لماذا ظلَّ خارجَ تلك الغرفة إذا كانت قد ذهبتبالفعل؟ لأنه افتقدها؟ أو أنه شعر بالوَحدة؟ لا يتصرف الرجل الناضج بهذه الطريقة. حسنًا، إذن هي كانت لا تزال هناك. عاد «سام» في هذه اللحظة وقال:

- المنزل هو رقم ٥٢٥ شارع «بينيديكت». الطابق الرابع، الشقة الخلفية، عليها اسم السيد والسيدة «لارس ثوروالد».

أسكتُّه بإشارة من إصبعي:

- ششششِ!

وأشرت له بالرحيل. تمتم بغيظ:

- أولًا، يريد ذلك، ثم لا يريد!

ثم ابتعد متذمِّرًا ليعود لمهامه.

***

لقد تقدمت في الموضوع. ولكن إن كانت لا تزال هناك، في غرفة

النوم في تلك الليلة، فلا يمكن أن تكون قد ذهبت خارج البلدة، لأنني لم أرَها تغادر اليوم. كان من الممكن أن تغادر دون أن أراها لو أنها رحلت في الساعات الأولى من صباح أمس. فاتتني ساعات كنت نائمًا فيها. لكن هذا الصباح كنت مستيقظًا قبل أن يستيقظ هو نفسه، رأيت رأسه يرتفع من فوق الأريكة بعد أن بقيت عند النافذة لبعض الوقت.

كان عليها أن تذهب صباح أمس لتذهب دون أن أراها على الإطلاق. ثم، لماذا ترك غرفة النوم مسدلة الستائر وترك المراتب دون مسّ حتى اليوم؟ وقبل كل شيء، لماذا بقي خارج الغرفة الليلة كلها؟ كان هذا دليلًا على أنها لم تذهب، كانت هناك ثم اليوم، مباشرة بعد أن أرسِلَ الصندوق، دخل، ورفع الستارة، وجمَع المراتب، وأظهر أنها لم تكن هناك.

كان الموضوع كله مثل دوامة مجنونة.

لا، لم يكن الأمر كذلك. مباشرة بعد إرسال الصندوق..

الصندوق!

هذه نقطة حل اللغز.

نظرت حولي لأتأكد من إغلاق الباب بيني وبين «سام». حلّقت يدي بتردد فوق الهاتف لدقيقة.

«بوين» هو من سيكون قادرًا على الوصول للحقيقة. هو يعمل في تحقيق جرائم القتل. لقد كان يعمل عليها، على أي حال، عندما رأيته

آخر مرة.

لم أكن أرغب في إقحام قطيع من رجال الشرطة الغرباء في قصتي. لم أكن أريد أن أتوزّط أكثر مما يجب. أو أتورط على الإطلاق، إن كان هذا ممكنًا.

حولوا مكالمتي إلى المكان الصحيح بعد محاولتين خاطئتين، ووصلت له أخيرًا.

- ألو. أهذا «بوين»؟ أنا «هال جيفريز»..

رد علي بحماسة:

- حسنًا، أين كنت في آخر ٦٢ عامًا؟

- يمكننا مناقشة ذلك لاحقًا. ما أريدك أن تفعله الآن هو أن تدوّن اسمًا وعنوانًا. مستعد؟ «لارس ثوروالد». خمسمائة وخمسة وعشرون شارع «بينيديكت». الطابق الرابع، الشقة الخلفية. فهمت؟

- الطابق الرابع.. الخلفية. فهمت. ما هذا؟

- تحقيق. أعتقد أنك ستكشف عن جريمة قتل هناك إن بدأت التنقيب عنها. لا تُعد الاتصال بي لأي سبب أقل من ذلك. هذه مجرد قناعة داخلية. كان هناك رجل وزوجته يعيشان هناك حتى الآن. الآن هناك الرجل فقط. ذهب صندوق مقتنياتها في وقت مبكر من هذا الصباح. إن تمكنت من العثور على شخص رآها تغادر بشحمها ولحمها..

عندما فككتِ الأفكار بصوت عالٍ بهذا الشكل ونُقِلت إلى شخص آخر وهو ملازم من المحققين قبل كل شيء، بدا الأمر واهيًا، حتى بالنسبة لي. قال بتردد:

- حسنًا، لكن...

ثم وافق على أداء المهمة، لأنني كنت المصدر فهو يثق فيّ. حتى إنني تركت نافذتي خارج القصة تمامًا ولم أذكرها له.

يمكنني الاعتماد عليه في ذلك وإخراجي من الصورة تمامًا، لأنه عرفني منذ سنوات، ولم يشكك في مصداقيتي. لم أكن أريد أن تعجّ غرفتي برجال الشرطة وهم يتناوبون النظر من النافذة في هذا الطقس الحار. دعهم يتعاملون معها من الأمام. قال:

- حسنًا، سنرى ما سنجده. سأبقيك على اطّلاع.

أنهيت المكالمة وجلست لمشاهدة الأحداث.

كان عمل الشرطة -الذي كنت أعلم أنه يجري في هذه اللحظات- خفيًا عني كما يجب أن يكون. وظلّت هيئة الرجل الموجودة خلف نوافذ الطابق الرابع في الأفق وحيدة ودون تشويش. لم يخرج. لم يثبت في مكان واحد. تنقّل من غرفة إلى أخرى دون ثبات لفترة طويلة، لكنه بقي داخل الشقة. مرةً رأيته يأكل، ومرةً أخرى رأيته يحلِق، وحاول حتى قراءة الجريدة مرةً، لكنه لم يصبر عليها فترةً طويلة. كان هناك شكوك صغيرة خفيّة تحوم حوله. صغيرة وغير ضارة حتى الآن، مجرد مقدمات.

تساءلت، لو كان يعلم بأنني أبلغت الشرطة عنه، أسيبقى هادئًا هكذا، أم سيحاول الخروج والهروب؟ قد لا يعتمد ذلك كثيرًا على شعوره بالذنب بقدر اعتماده على إحساسه بالحصانة وشعوره بأنه قادر على الإفلات بها. لقد كنت مقتنعًا -بالفعل- بذنبه، وإلا لمَا اتَّخذت الخطوة التي خطوتها. في الثالثة رن هاتفي. «بوين» يتصل.

- «جيفريز»؟ حسنًا، لا أعرف. ألا يمكنك أن تعطيني معلومات أكثر؟

هتفت بغيظ:

- لماذا؟ لماذا يجب أن أفعل؟

- لقد أرسلت رجلًا هناك يستفسر تلقيت تقريره للتو، اتَّفق رأي مدير المبنى والعديد من الجيران على أنها غادرت إلى الريف لاستعادة صحتها، في وقت مبكر من صباح أمس.

- انتظر دقيقة. هل رآها أيٌ منهم فعليًا في أثناء مغادرتها، حسب كلام رجلك؟

- لا.

- إذن كل ما حصلت عليه هو نسخة لا فائدة منها من شهادته هو نفسه. ليست شهادة عيان.

- لقد قابله وهو عائد من المحطة، بعد أن اشترى تذكرتها وأوصلها للقطار.

- لا يزال هذا بيانًا غير مدعوم بما فيه الكفاية.

- لقد أرسلت رجلًا إلى المحطة لمحاولة التحقُّق من وكيل التذاكر إن أمكن. ونحن سنبقيه تحت الملاحظة بالطبع في هذه الأثناء، وسنراقب تحركاته كلها. ومع أول فرصة نحصل عليها، سنقتحم الشقة ونفتشها.

كان لدي شعور بأنهم لن يجدوا أي شيء لو قاموا بتفتيش الشقة. قلت:

- لا تتوقع مني أي شيء أكثر الكُرة في ملعبك. لقد أعطيتك كل ما لدي. اسم وعنوان ورأي.

- نعم، لقد كنت دائمًا أقدر رأيك كثيرًا قبل الآن يا «جيف»..

- لكنك الآن لا تثق فيه؟

- مُطلقًا، الموضوع هو أننا لم نجد أي شيء قد يؤكد انطباعك حتى الآن.

- لم تقطع شوطًا طويلًا حتى الآن.

عاد إلى كليشيهاته المعتادة:

- حسنًا، سنرى ما سنكتشفه. سأعلمك لاحقًا.

مرّت ساعة أخرى تقريبًا، وجاء غروب الشمس. رأيته يبدأ الاستعداد للخروج من هناك. لبس قبعته، وضع يده في جيبه ونظر إليه

لدقيقة. يعُد ما معه من فكة، على ما أظن.

أثار هذا المشهد إحساسًا غريبًا بالإثارة داخلي، لمعرفتي أنهم سيدخلون في اللحظة التي يغادر فيها.

فكرت بخُبث، بينما أنا أراه يلقي نظرةً أخيرة: إن كان لديك أي شيء تُخفيه يا صاح، فقد حان الوقت لذلك.

غادر خيّم صمت مقبض على الشقة. حتى إنذار الحريق لا يمكن أن يسحب عينيّ عن النوافذ.

فجأة انفتح باب الشقة الذي أغلقه الرجل وتسلل رجلان إلى الداخل، أحدهما خلف الآخر.

هم بالداخل الآن!

أغلقاه وانفصلا في الحال، وانشغلا.

اتجه أحدهما نحو غرفة النوم والآخر نحو المطبخ، وبدءا يشقّان طريقهما نحو بعضهما بعضًا مرة أخرى من أطراف الشقة. كان عملهما شاملًا. أمكنني رؤيتهما يتفقّدان كل شيء من أعلى إلى أسفل. تفقّدا غرفة المعيشة معًا. تفقّد كل واحدٍ منهما جانبًا من الغرفة.

كانا قد انتهيَا بالفعل قبل أن يأتيهما تحذير. استطعت أن أفهم ذلك من خلال الطريقة التي اعتدلا بها فجأة ووقفا في مواجهة بعضهما محبطَين لمدة لحظات. ثم أدارَا رأسيهما بحدة، كما لو كانا قد سمعَا

جرس الباب!

خرجا بسرعة.

لم أشعر بخيبة أمل، فقد كنت أتوقّع ذلك. كان شعوري طوال الوقت أنهما لن يجدا ما يُريب. لقد ذهب الصندوق بعد كل شيء بالفعل.

لحظات ودخل الزوج يتأبّط كيس ورق بني. كنت أراقبه عن كثب لمعرفة ما إن كان سيكتشف أن أحدًا كان يعبث في غيابه. يبدو أنه لم يفعل. لقد كانا بارعين في التفتيش.

بقي في الداخل بقية الليل.

جلس بكل هدوء. شرب بعض الخمر وأمكنني أن أراه جالسًا هناك قرب النافذة ويداه ترتفعان بين حين وآخر لكن دون مبالغة. يبدو أن كل شيء كان تحت السيطرة، خفّت حدة التوتر الآن بعد خروج الصندوق.

ظللت أشاهده طوال الليل، فتساءلت: لمَ لا يخرج؟ إن كنت مُحقًا بشأنه، وأنا بالتأكيد كذلك، فلماذا ظل في مكانه بعدما فعل فعلته؟ وسرعان ما ظهرت إجابة ذلك السؤال في عقلي: لأنه لا يعرف أن هناك شخصًا يشك فيه بعد لا يعتقد أنه في عجلة من أمره والذهاب مبكرًا، بعد «ذهابها» مباشرة، سيكون أكثر خطورة من البقاء لفترة .

مرّت الليلة. جلست هناك في انتظار مكالمة «بوين». جاءت مكالمته

متأخرة مما كنت أعتقد. التقطت الهاتف في الظلام.

كان الزوج يستعد للنوم الآن. لقد قام من حيث كان جالسًا يشرب في المطبخ، وأغلق الأضواء. ذهب إلى غرفة المعيشة، وأضاء الأنوار وبدا لي أنه يسحب قميصه من حزامه.

تردد صوت «بوين» في أذني بينما كانت عيناي ثابتتين على الزوج هنالك.

- مرحبا يا «جيف». اسمع، لا شيء في الشقة على الإطلاق. فتشنا المكان عندما كان بالخارج.

كدت أقول:

- أعلم أنك فعلت ذلك، لقد رأيت ذلك..

لكنني أمسكت نفسي في الوقت المناسب. سمعته يكمل:

- ولم يجدوا شيئًا. لكن..

توقف كما لو أن ما سيقوله مهمًا. انتظرت أن يكمل جملته بفارغ الصبر:

- في الطابق السفلي، في صندوق بريده، وجدنا بطاقة تنتظره. لقد أخرجناها من الفتحة بدبابيس مثنية..

- و؟

- كانت من زوجته، مكتوبة بالأمس فقط، من مزرعة في الريف.

هذه هي الرسالة التي نسختها: «وصلت إلى هناك، أشعر أنني صرت أفضل قليلًا بالفعل. مع حبي، «آنا».

قلت بصوت خافت بعناد:

- أنت تقول كُتِبَت بالأمس فقط. ألديك دليل لذلك؟ ما تاريخ الختم البريدي عليها؟

أصدر صوتًا قبيحًا من حلقه؛ كأنما كان ينتظر السؤال المزعج. أجاب:

- كان ختم البريد غير واضح. شيء ما بلّله فيما يبدو والحبر ملطّخ.

- كله غير واضح؟

اعترف:

- تاريخ اليوم والعام فقط. أما الساعة والشهر فقد ظهرا جيدًا. أرسِلَت في أغسطس، الساعة السابعة والنصف مساءً.

هذه المرة أصدرت أنا صوتًا قبيحًا من حلقي:

- أغسطس، الساعة السابعة والنصف مساءً؟ ربما في عام ١٩٣٧ أو ١٩٣٩ أو ١٩٤٢. ليس لديك دليل على كيف وصلت إلى صندوق البريد هذا، سواءٌ أجاءت من جراب ساعي البريد أم من مؤخرة دُرْج مكتب!

قال:

- استسلم يا «جيف». أنت تهدِر وقتك.

لا أعرف ماذا كنت سأقول. لا أعرف ماذا كنتغرفة المعيشة في بيت «ثوروالد» وقتها. لقد هزّني موضوع البطاقة البريدية، سواءً اعترفت بهذا أم لا.

لكني نظرت إلى هناك. انطفأ الضوء بمجرد خلعِ قميصه، لكن غرفة النوم لم تضِئ. لمعث شعلة عود ثقاب من غرفة المعيشة في مكان منخفض، كأن حاملها يجلس على كرسي أو أريكة. على الرغم من وجود سريرين مُهمَلَين في غرفة النوم، كان لا يزال يتهرّب من دخول تلك الغرفة. قلت بصوت بارد:

- لا يهمني يا «بوين» أي بطاقات بريدية من العالم الآخر ظهرت، أقول إن هذا الرجل قد قتل زوجته! تقصّى أمر ذلك الصندوق اللعين الذي شحنه للخارج. افتحه عندما تحدد موقعه، وأعتقد أنك ستجدها أو تجد دليل إدانتِه!

أشعل الرجل الثقاب مرتين أخريين، بينهما حوالَيْ ف ساعة. لا شيء أكثر بعد ذلك. من المحتمل أنه نام هناك. ثم غفوت أنا الآخر قبل أن أستيقظ أخيرًا مع ضوء الشمس المبكر الذي تسلل لشقتي على استحياء.

أي شيء سيفعله هذا الرجل، فسيفعله تحت غطاء الظلام، لأنه بالتأكيد لن يفعله في وَضَح النهار.

لن يكون هناك الكثير لمشاهدته لفترة من الوقت الآن. وماذا سيفعل أكثر من ذلك على أي حال؟ لا شيء، فقط الجلوس ومراقبة مرور الوقت.

بدا الأمر وكأن «سام» قد جاء بعد خمس دقائق ولمسني، ولكن كانت الظهيرة قد حلّت. هتفت بعصبية:

- ألم ترَ الورقة التي تركتها لك لتتركني أنام؟

قال:

- نعم، لكن صديقك القديم المفتش «بوين» جاء. اعتقدت أنك تريد بالتأكيد أن...

كانت زيارةً شخصيةً هذه المرة. دخل «بوين» الغرفة خلفه بغير انتظار، وبغير كثير من الود. قلت للتخلص من «سام»:

- ادخل وأعدّ لي الإفطار من فضلك. بيضتين مقليتين.

بدأ «بوين» كلامه بصوت يطفَح ضيقًا:

- ماذا تقصد يا «جيف» بفعل شيء مثل هذا بي؟ لقد جعلتَ من نفسي أحمقَ بسببك أرسلت رجالي يفتشون يمينًا ويسارًا كالبلهاء حمدًا لله أنني لم أتورط في الموضوع أكثر من ذلك، ولحسن الحظ أني لم أقم باستدعاء هذا الرجل للاستجواب.

اقترحت بلهجة باردة:

- أوه! إذن أنت لا تعتقد أن هذا ضروري؟

النظرة التي علت وجهه كانت كافية.

- أنا لست وحدي في القسم كما تعلم. هناك رجال فوقي وأنا مسئول أمامهم على أفعالي. يبدو هذا رائقًا، أليس كذلك؟ إرسال بعض زملائي لعنوان بعيد ليفتشوه خِلسة على نفقة الإدارة..

- إذن فقد حدّدت موقع الصندوق؟

قال بصراحة:

- لقد تتبعنا ذلك من خلال وكالة الشحن.

- وفتحته؟

-لقد فعلنا ما هو أفضل من ذلك. لقد اتصلنا بعديد من بيوت المزارع في المنطقة المجاورة مباشرة، وقد حضرت السيدة «ثوروالد» إلى مفترق الطرق في شاحنة وفتحت الباب الخارجي لرجالنا بمفاتيحها!

قِلّة قليلة من الرجال حظوا بنظرة كتِلك من صديق قديم. قال عند الباب، متصلّبًا مثل فوهة البندقية:

- فقط دعنا ننسَ كل شيء عنه، تمام؟ هذا أفضل شيء يمكن أن يفعله كل منا للآخر. أنت لست على طبيعتك، وأنا كذلك، ماديًا ومزاجيًا، ولا أملك الكثير من الوقت لأضيعه على أشياء لا طائل منها. دعنا ننهِ الموضوع عند تلك النقطة. إن كنت تريد الاتصال بي

مستقبلًا، فسيسعدني أن أعطيك رقم منزلي.

ثم عصف عبر الباب هائجًا!

ظلَّ عقلي جامدًا نوعًا ما كأنه مُقيَّد لمدة عشر دقائق تقريبًا بعد خروجه العاصف هذا. ثم بدأ يتلوَّى - عقلي - ليشق طريقه ويتحرر.

فليذهب كلام الشرطة للجحيم! ربما لا يمكنني إثبات ذلك لهم، لكن يمكنني إثبات ذلك لنفسي، بطريقة أو بأخرى، مرة واحدة، وإلى الأبد.

إما أنني مخطئ وإما على صواب. لقد تحصَّن الزوج ضدَّهم. لكن حقيقته ظاهرة أمامي. اتصلت بـ«سام».

- ماذا حدث لذلك المنظار الذي اعتدنا أن نمتلكهعندما كنا نتجول في تلك الرحلة البرية الموسم الماضي؟

***

وجد المنظار في مكان ما في الطابق السفلي وأحضره، نفخ فيه ومسح عنه التراب بكمه. تركته راقدًا في حضني أولًا. أخذت قطعة من الورق وقلمَ رصاص، وكتبت عليها ثلاث كلمات: ماذا فعلت بها؟

وضعت الورقة في ظرف وأغلقته وتركت المغلف فارغًا من أي كلمات تشير لصاحبه. قلت لـ«سام»:

- الآن، هذا ما أريدك أن تفعله، وأريدك أن تكوندقيقًا في فعله. خذ هذا، ادخل ذلك المبنى ٥٢٥، اصعد إلى الطابق الرابع واتجه للشقة

الخلفية، وقم بدفعه من تحت عقِب الباب. أنت مريع، على الأقل اعتدت أن تكون كذلك. دعنا نرَ ما إذا كنتَ مريعًا بما يكفي لتتجنَّب أن يُمسكَ بك. ثم عندما تنزل بأمان مرة أخرى، أعطِ رنة صغيرة لجرس الباب الخارجي لجذب الانتباه.

بدأ فمه ينفتح. قاطعته قبل خروج أي كلمات منه:

- ولا تسألني أي أسئلة، هل تفهم؟ أنا لا أمزح.

ذهب، وجهَّزت المنظار. جعلت الرجل تحت نظري بعد دقيقة أو دقيقتين. قفز وجهه في مجال بصري، وكنت أراه حقًّا لأول مرة.

له شعر داكن، ولكن من أصل إسكندنافي بشكل لا ريب فيه. بدا وكأنه رجل عصبيٌّ متقلب المزاج، على الرغم من أنه ليس ضخمَ البِنية للغاية، لكنه بدا لي من النوعية التي يمكن أن تَقتُلَ في حالة غضب.

مرت حوالي خمس دقائق. تحوَّل رأسه في حدة، فخمَّنت أنه سمع صوت الجرس. لا بد أن «سام» قد وضع الظرف.

أعطاني مؤخرة رأسه وهو يتجه نحو الباب الشقة. تمكنت من تتبُّعه بالعدسة على طول الطريق إلى الخلف؛ حيث لم تكن عيني المجردة قادرة على ذلك من قبل. فتح الباب أولًا، فاتته رؤية المظروف، نظر خارجًا على مد بصره. ثم أغلقه. ثم انحنى واعتدل. صار الظرف معه!

استطعت أن أراه يتلفت، وانتقل إلى الداخل، بعيدًا عن الباب،

بالقرب من النافذة. كان يعتقد أن الخطر يكمن عند الباب، وأن الأمان بعيدًا عنه. لم يعلم أن الأمر كان بالعكس، فكلما تراجع داخل غرفته زاد الخطر!

فتح الظرف وبدأ يقرأ. يا الله! كم راقبت تعبيره. تشبثت عيناي به مثل العَلَق الذي استخدموه قديمًا لامتصاص الدماء الزائدة من المرضى.

اتسعت حدقتاه فجأة وانفتح فمه. صدمة. ذُعر. اندفعت يداه إلى الخارج ووجدت الحائط واستند عليه. ثم عاد نحو الباب ببطء. أمكنني أن أراه يتلمسه بحذر، كما لو كان شيئًا حيًا. فتحه بحذر وبطء شديد لدرجة أن الناظر لا يمكن أن ينتبه لحركته، ثم أطلّ بخوف من خلال الشق. ثم أغلقه، وعاد، متعثرًا، فاقِدًا للتّوازن، فزِعًا.

ارتمى على كرسي وسحب مشروبًا. شرب من الزجاجة مباشرة هذه المرة. وحتى بينما كان مقربًا إيّاها من شفتيه، استدار رأسه ناظرًا من فوق كتفه إلى الباب الذي ألقى فجأة سرّه في وجهه. وضعت المنظار المقرّب جانبًا.

مذنب!

مذنب مليون من المئة، وليذهب رأي الشرطة للجحيم!

اتّجهت يدي صوب الهاتف، ثم تراجعت. ما الفائدة؟ لن يصدقوني الآن بعد الذي حدث. تخيّلوا أن أقول لهم:

- كان يجب أن تروا وجهه، إلخ..

وأمكنني سماع إجابة «بوين»:

- أي شخص سيُصاب بالصدمة من رسالة مجهولة المصدر سواء أكانت حقيقية أم كاذبة. أنت نفسك كنت ستتصرف بالطريقة نفسها.

ربما معهم حق! كان لديهم السيدة «ثوروالد»، أو ظنّوا أنها لديهم، ليحبطوا نظريتي. عليّ أن أريهم أنها ميتة، لإثبات أنهما ليستا الشخص نفسه. أن أظهر لهم، من نافذتي، أنها صارت جثة هامدة!

حسنًا، على الزوج أن يريني مكان الجثة أولًا. استغرق الأمر ساعات قبل أن أتوصل لحل. ظللت أفكر بالموضوع بكل طاقتي، بينما تسلّلت الظهيرة.

في غضون ذلك كان الزوج يسير ذهابًا وإيابًا هناك مثل نمرٍ يحوم في قفصه. عقلان يفكران يتشاركان فكرةً، كل واحد منهما يفكر فيها من زاوية مختلفة. هو يفكر في طريقة حفظ سره عن الكشف، وأما أنا فأفكر في كشفه.

لاحظت، على حد ما أتذكر أن المالك أو شخصًا ما أحضر مستأجرًا محتملًا للنظر في شقة الطابق السادس التي انتهى منها بالفعل. كان هذا فوق طابق «ثوروالد» بطابقين؛ كانوا لا يزالون يعملون في الطابق الذي يقع بينهما. في لحظة معينة حدث موقف غريب، لا يمكن تسميته بغير الصدفة العرضية تمامًا بالطبع.

حدث أن صار المالك والمستأجر بالقرب من نوافذغرفة المعيشة في الطابق السادس في اللحظة نفسها التي كان فيها «ثورنوولد» بالقرب من غرفته في الطابق الرابع. تحرك الطرفان فصاعدًا في الوقت نفسه إلى المطبخ من هناك، وبعدما مروا بجدار مصمت، ظهروا بجانب نوافذ المطبخ. كان الأمر غريبًا، تقريبًا كأنهم دمى يُحرّكون بالخيط نفسه. مشهد غريب نادر. بعد ذلك مباشرةً استمر كل واحد في طريقه، ولم يكرروا حركاتهم أبدًا. شيئًا ما في هذا أزعجني. كان هناك عيب طفيف أو عقبة تشوه المشهد، حاولت للحظات معرفة ما السبب بهذا الشعور لكن لم أستطع. كان المالك والمستأجر قد رحلا الآن، وكان «ثوروالد» فقط هو البادي لي. لم تكن ذاكرتي كافية لاسترجاع المشهد. كان من الممكن أن يساعدني بصري لو أن المشهد تكرر لكن لا.

لقد غرق المشهد في عقلي الباطن، ليتخمّر هناك، بينما عدت إلى المشكلة الرئيسة المطروحة. وصلت لحل أخيرًا. كان بعد حلول الظلام، لكنني أخيرًا، توصلت لطريقة. قد لا ينجح الأمر هي فكرة مُرهقة وملتوية، لكنها كانت الطريقة الوحيدة التي أمكنني أن أفكر بها. كل ما أحتاجه أن يدور رأسه باتجاه معين، أو يقوم بخطوة احترازية سريعة في اتجاه واحد معين. وللحصول على ذلك، كنت بحاجة إلى مكالمتين هاتفيتين وإلى غيابه لمدة نصف ساعة تقريبًا بينهما.

تصفّحت الدليل على ضوء الثقاب حتى وجدت ما أريده:

«ثوروالد»، «لارس». ٥٢٥ شارع «بينيديكت». سوانسي ٥-٢١١٤.

أطفأت عود الثقاب والتقطت الهاتف في الظلام. كان الأمر مثل التلفاز. كان بإمكاني رؤية الطرف الآخر من مكالمتي، لكن لا يمكنني ذلك على طول السلك، وإنما عن طريق قناة رؤية مباشرة من نافذة إلى نافذة. قال «آلو؟» بفظاظة. فكرت: كم هذا غريب! لقد اتّهمته بالقتل وراقبته لمدة ثلاثة أيام متتالية، والآن فقط أسمع صوته لأول مرة. لم أحاول إخفاء صوتي. بعد كل شيء، لن يراني ولن أراه أبدًا. قلت:

- هل تلقّيت رسالتي؟

قال بحذر:

- من هذا؟

- شخص ما يعرف.

قال بمكر:

- يعرف ماذا؟

- يعرف ما تعرفه... أنت وأنا، فقط.

سيطر على نفسه جيدًا. لم أسمع صوتًا. لكنه لم يكن يعلم أنه كان منفتِحًا أمامي عن طريق آخر أيضًا. كان المنظار متوازنًا هناك على ارتفاع مناسب فوق كتابين كبيرين على عتبة النافذة. رأيته عبر النافذة يسحب ياقة قميصه كما لو كانت تخنقه بشكل لا يُطاق. ثم

وضع يده على عينيه كما تفعل عندما يكون هناك ضوء يعميك. عاد صوته بحزم:

- أنا لا أعرف ما الذي تتحدث عنه!

- الأعمال، هذا ما أتحدث عنه. يجب أن يكون شيئًا ذا قيمة بالنسبة لك، أليس كذلك؟ منع المعلومة من الانتقال لآخرين.

كنت أرغب في منعه من إدراك أن النوافذ كانت ثغرته. ما زلت في حاجة إليها، أنا بحاجة إليها الآن أكثر من أي وقت مضى.

-أنت لم تكن حذرًا للغاية بشأن بابك الليلة إيّاها.. أ ربما فتحه تيار الهواء قليلًا.

أصابته تلك الكلمات بصدمة سمّرته في مكانه! حتى صوت تقلص معدته وصل لي عبر السلك. بعد لحظة قال:

- لم ترَ شيئًا، لم يكن هناك أي شيء لتراه.

- الأمر متروك لك. لماذا سأذهب إلى الشرطة؟

سعلت قليلًا وأنا أستطرد:

- إن كنت سأكسب بعض المال مقابل عدم القيام بذلك.

قال:

- أوه!

وكان هناك نوع من الراحة في نبرته هذه المرة.

- هل تريد أن تراني؟ هل هذا هو قصدك؟

-ستكون هذه أفضل طريقة، أليس كذلك؟ كم دولارًا يمكنك أن تحضر معك الآن؟

- لدي حوالي سبعين دولارًا فقط هنا.

- حسنًا، يمكننا ترتيب الباقي لاحقًا. أتعلم أين تقع حديقة «ليكسايد»؟ أنا قريب من هناك الآن. فلنتقابل هناك.

كان ذلك المكان يبعد حوالي ثلاثين دقيقة. خمس عشرة للذهاب، ومثلها للعودة.

- هناك جناح صغير عند باب المدخل.

سأل بحذر:

- ما عددكم هناك؟

- أنا فقط. من المفيد الاحتفاظ بالأشياء لنفسك. بهذه الطريقة لن تضطر إلى تقسيم المبلغ.

بدا أنه معجب بذلك أيضًا. قال:

- سأنفذ، فقط لأرى ما نهاية هذا الأمر.

تابعته عن كثب أكثر من أي وقت مضى، بعد أن أنهى الاتصال. طار مباشرة إلى غرفة في نهاية الشقة، غرفة النوم، التي لم يعد يقترب منها مؤخرًا. اختفى في خزانة ملابس هناك، وبقي دقيقة، وخرج

مرة أخرى. لا بد أن يكون قد أخذ شيئًا ما من مخبأ أو مكان خفي هناك، حتى إن الشرطة قد فاتتها رؤيته. أستطيع أن أقول من خلال حركة يده، قبل أن يختفي داخل معطفه، ما كان هذا الشيء، مسدس!

فكرت أنه أمر جيد أنني لست هناك في حديقة «ليكسايد» في انتظار سبعين دولارًا. أظلمت الشقة وانطلق في طريقه. اتصلت بـ«سام»:

- أريدك أن تفعل شيئًا من أجلي، قد يكون محفوفًا بالمخاطر إلى حد ما في الواقع، فيه مخاطرة كبيرة قد تكسر ساقك أو قد يُطلَق النار عليك، أو قد تُضرَب لقد كنا معًا لعشرِ سنوات، ولم أكن لأطلب منك كهذا لو استطعت أن أفعل ذلك بنفسي. لكنني لا أستطيع، ويجب أن يكتمِل ذلك الموضوع.

ثم أخبرته:

- اخرُج من الطريق الخلفي، واعبر أسوار الفناء الخلفي، وانظر إن كان بإمكانك الوصول إلى شقة الطابق الرابع إياها من مخرج الحريق. لقد ترك إحدى النوافذ مفتوحة قليلًا.

- ما الذي تريدني أن أبحث عنه؟

- لا شيء.

فكرت: كانت الشرطة قد فتشت المكان بالفعل، فما الفائدة من

ذلك؟

قلت له:

- هناك ثلاث غرف هناك، أريد منك أن تبعثر كل شيء قليلًا في الثلاث غرف، لتظهِر أن شخصًا ما كان هناك. اقلب حافة كل بساط قليلًا، وقم بتحريك كل كرسي ومنضدة قليلًا، اترك أبواب الخِزانة مفتوحة. لا تفوّت أي شيء. هاك، أبقِ عينيك على هذا.

ثم خلعت ساعتي وألبستها له.

- أمامك خمس وعشرون دقيقة بالضبط، تبدأ من الآن. إن بقيت ضمن تلك الخمس وعشرين دقيقة، فلن يحدث لك شيء. عندما ترى أنهم انتهوا، فلا تنتظر أكثر من ذلك، اخرج بسرعة.

- ثم أنزل إلى أسفل؟

- لا.

لن يتذكر الزوج، في غمرة انفعاله، ما إن كان قد ترك النوافذ مفتوحة أم لا. ولم أكن أريده أن يربط بين الخطر والجزء الخلفي من شقته، بل يربطه بالأمام، أردته أن يغفل عن نافذتي قدر الإمكان.

- أغلق النافذة بإحكام، اخرج من الباب، واهرب خارج المبنى عبر الباب الأمامي، من أجل حياتك!

قال بحزن:

- أنا لا قيمة لي بالنسبة لك!

لكنه ذهب. خرج من باب قبونا الذي يقع تحتي، وتسلق الأسوار. إن رآه أحد من إحدى النوافذ المحيطة، كنت سأدعمه، وأشرح أنني أرسلته للبحث عن شيء ما. لكن لم يفعل أحد. قفز بشكل جيد بالنسبة لشخص في مثل عمره. لم يعد يافعًا بعد الآن. تمكن من صعود سلم مخرج الحريق الواقع خلف الشقة الذي كان مسحوبًا لأعلى، تمكن من الوصول له بالوقوف على شيء ما.

دخل، وأشعل الضوء، ونظر إليّ. أشرت له بالمضي قُدمًا، لا وقت أمامنا. شاهدته وهو يتحرك، لم تكن هناك أيّة طريقة لحمايته الآن بعد أن صار هناك. حتى «ثورוولد» سيكون من حقه إطلاق النار عليه؛ كان هذا اقتحامًا. كان عليّ أن أبقى خلف الكواليس، كالعادة. لا أستطيع أن أخرج أمامه كحارس وأحميه. حتى المحققين يكون لديهم شخص يرقُب.

لا بد أنه كان متوترًا وهو يفعل ذلك. كنت متوترًا أضعافًا وأنا أشاهده. شعرت أن الدقائق الخمسة والعشرين استغرقت خمسين دقيقة للمرور. أخيرًا، جاء إلى النافذة وأغلقها سريعًا. انطفأت

الأضواء وخرج. لقد فعلها. تنهدت مرتاحًا. سمعته وهو يغلق باب العمارة الرئيسي، وعندما جاء، قلت له محذرًا:

- اترك النور مغلقًا هنا. اذهب واجلب لنفسك كأس ويسكي كبير؛ وجهك شاحب للغاية كأنه ورقة بيضاء.

عاد «ثوروالد» بعد تسعة وعشرين دقيقة منمغادرته إلى حديقة «ليكسايد». فارق زمني ضئيل جدًا لتعليق حياة رجل عليه. حانت الآن آخر خطوة في خطتي، والتي آمل أن تؤتي ثمارها.

تلقّى الزوج مكالمتي الهاتفية الثانية قبل أن يتاح له الوقت لملاحظة أي شيء خاطئ. لقد كان توقيتًا صعبًا، لكنني كنت أجلس هناك وسماعة الهاتف جاهزة في يدي، وأطلب الرقم مرارًا، ثم أضع السماعة ثانية في كل مرة عندما لا أجد ردًا.

بدأ الرنين قبل أن تبتعد يده عن مفتاح الضوء. هذه هي المكالمة التي ستخبرني بالحقيقة. آمل هذا. قلت له عبر الهاتف:

- كان من المفترض أن تجلب المال، وليس سلاحًا لهذا لم أحضر.

رأيت الهزة التي أصابته. يجب أن تظل النافذة خارج شكوكه.

- رأيتك تنقر على معطفك من الداخل؛ إذ كان معك المسدس، عندما خرجت إلى الشارع.

ربما لم يفعل ذلك، ولكنه لن يتذكر الآن إن كان قد فعل ذلك أم لا. عادة ما تفعل هذا عندما تضع مسدسًا ولا تكون معتادًا على هذا.

- من المؤسف أن رحلتك للخارج ضاعت بلا فائدة. ومع ذلك، لم أضيّع وقتي في أثناء رحيلك. أعرف أكثر الآن. أكثر مما كنت أعرفه من قبل.

كان هذا هو الجزء المهم، رفعت المنظار وأخذت أتفحص وجهه بدقة.

- لقد اكتشفت مكانها، أنت تعرف ما أعنيه. أعرف الآن أين تخفيها. دخلت شقتك عندما كنتَ في الخارج.

ولا كلمة. فقط تنفس سريع.

- ألا تصدقني؟ انظر حولك. ضع السماعة جانبًا وألقِ نظرة بنفسك. لقد وجدتها.

وضع السماعة جانبًا، وتحرك حتى مدخل غرفة المعيشة، وأشعل الأنوار. نظر حوله مرة واحدة فقط، نظرة شاملة، مسح كل شيء بالاهتمام نفسه. لم تثبت عيناه على أيّة نقطة على وجه الخصوص، على الإطلاق.

كان يبتسم بشكل غريب عندما عاد إلى الهاتف. كل ما قاله، بهدوء وبرضا خبيث، كان:

- أنت كاذب.

ثم رأيته يضع السماعة على الأرض ورفع يده عنها. أغلقت الخط من جهتي. فشل الاختبار. ومع ذلك، لم يفشل بالكامل، لم يكشف

عن الموقع كما كنت أتمنى أن يفعل. ومع ذلك، «أنت كاذب» كانت اعترافًا ضمنيًا بأن جسدها كان موجودًا، في مكان ما حوله، في مكان ما في تلك الأماكن. في مكان جيّد لدرجة أنه لم يكن مضطرًا للقلق بشأنه، ولم يكن عليه حتى البحث للتأكد. إذن كان هناك نوع من الانتصار لم يكتمل في هزيمتي. لكن الأمر لم يكن يستحق هذا العناء كله بالنسبة لي. وقف هناك وظهره شطري، ولم أستطع رؤية ما يفعله. كنت أعرف أن الهاتف في مكان ما أمامه، لكن أعتقد أنه وقف هناك متأملًا من خلفه. كان رأسه منخفضًا قليلًا، هذا كل شيء. لقد أنهيت المكالمة من هاتفي. لم أرَ حتى كوعه يتحرك. وإن تحركت سبابته، فلن أتمكن من رؤيتها.

وقف هكذا لحظة، ثم أخيرًا، تنحى جانبًا. انطفأت الأنوار هناك؛ لم يعد بإمكاني رؤيته.

كان أقرب ما يمكنني الحصول عليه هو هذا: كان الأمر كما لو كنت تنظر إلى شخص ما من خلال لوح زجاجي رديء الجودة، وهذا العيب في الزجاج يشوّه تناسق الصورة المعكوسة لثانية واحدة، حتى يتجاوز الجسد المنعكس تلك النقطة المعيبة. لكن لا، لم يكن الأمر كذلك.

كانت النوافذ مفتوحة، ولم يكن هناك زجاج بينها. وأنا لم أستخدم العدسة في ذلك الوقت.

رن هاتفي. من المفترض أن يكون «بوين». لن يكون المتصل أي

شخص آخر في هذه الساعة. ربما قرر الاعتذار بعد التفكير في الطريقة التي تعامل بها معي. قلت «آلو» بدون حذر، وبصوتي العادي.

لكن لم تكن هناك أيّة إجابة. قلت:

- آلو؟ آلو؟ آلو؟

ظللت أعطي عيّنات من صوتي. ليس هناك أي رد. أنهيت المكالمة أخيرًا. لاحظت أن المكان كان لا يزال مظلمًا هناك. أطل «سام» برأسه عبر الباب. كان غليظ اللسان بعض الشيء من الشراب الذي تناوله. قال شيئًا ما بلهجة ثقيلة. غالبًا:

- هل بإمكاني الرحيل الآن؟

سمعته بنصف أذن. كنت أحاول اكتشاف طريقة أخرى لمحاصرة ذلك الرجل هناك ودفعه للإفصاح عن المكان الصحيح. أشرتُ له بموافقتي على رحيله. نزل بضع درجات مترنحًا على السلم إلى الطابق الأرضي، وبعد لحظة سمعت بابَ الشارع يُغلَق من بعده.

«سام» المسكين، لم يكن معتادًا على الخمور.

تُركت وحيدًا في المنزل، كرسي واحد يمثل حدود حرّيتي في الحركة. انبعثَ ضوء هناك مرة أخرى فجأة، للحظات، لينطفئَ مباشرة بعد ذلك. لا بد أنه احتاج إشعال الضوء من أجل شيء ما، لتحديد مكان ما يبحث عنه، ووجد أنه لم يكن قادرًا على وضع

يديه بسهولة بغير ضوء.

وجد ما كان يبحث عنه، أيًا كان ما هو، على الفور تقريبًا، وعاد في الحال لإطفاء الأنوار مرة أخرى. عندما استدار للقيام بذلك، رأيته يلقي نظرة خاطفة من النافذة. لم يأتِ إلى النافذة ليفعل ذلك، بل نظر بينما هو يتحرك. لقد صدمني شيء ما بخصوص هذا التصرف بشكل مختلف عن أي تصرف آخر رأيته يقوم به طوال الوقت الذي كنت أراقبه فيه. لو أن بإمكاني أن أصف مثل هذا التصرف المراوغ، لكنت سأطلق عليه «نظرة لها غرض من ورائها». ليست نظرة عفوية بريئة. كانت بالتأكيد أي شيء غير أنها عشوائية. كان بها شرارة ثبات مميزة. كانت نظرة مقصودة!

لم تكن واحدة من تلك التمشيطات الاحترازية التي رأيته يفعلها من قبل. لم تبدأ من الجانب الآخر وتشق طريقها إلى الجانب الذي تقع فيه شقتي، الجانب الأيمن. لقد بدأت من عند نافذتي، لمجرد كسر من الثانية، وهي المدة التي مرت بها نظراته عندي قبل أن تختفي مرة أخرى. واختفت الأنوار وذهب.

أحيانًا تستقبل حواسك الأشياء دون أن يترجمها عقلك إلى معناها الصحيح. رأت عيني تلك النظرة. رفض عقلي استيعابها بشكل صحيح. فكرت: «كانت نظرات بلا معنى. مجرد التفاتة غير مقصودة، حدثت بالصدفة بينما كان يتجه نحو زر الإضاءة وهو في طريقه للخروج».

رد فعل متأخر

ماذا عن تلك المكالمة الهاتفية الصامتة. هل كانت لمعرفة صوت من سيرد على الهاتف؟ هناك فترة من الظلام الخافت التي أعقبتها، يمكن فيها لشخصين أن يمارسا فيها نفس اللعبة -مراقبة نافذتا بعضهما البعض سرًا. وميض الأضواء في اللحظة الأخيرة كان إستراتيجية مبينة، ولكن لا مفر منها. نظرة خفية ذات نية خبيثة. كل هذه الأشياء دخلت عقلي لكن دون أن أستوعب معناها. قامت عيناي بعملهما، كان عقلي هو الذي لم يقم بعمله- أو على الأقل استغرق وقته في فعله. مرت الثواني لتتجمع في صورة دقائق. خيم الصمت المألوف على الجزء الخلفي من المنازل.

سكون بلا صوت نفس واحد.

ثم جاء صوت، بدأ من العدم، من لا شيء. صرير واضح لا لبس فيه، صرير صرصور يشق طريقه وسط صمت الليل.

فكرت في خرافات «سام» بشأنهم، والتي ادعى أنها لم تفشل قط في التحقق، ومع ذلك إذا كان الأمر كذلك فمعنى هذا أن الأمور ستسير بشكل مؤسف بالنسبة لشخص ما في أحد هذه المنازل الغافية هنا. صحيح؟

لقد ذهب «سام» من حوالي عشر دقائق فقط. والآن عاد مرة أخرى، لا بد أنه نسي شيئًا لا بد أن الشراب الذي تناوله هو السبب ربما نسي قبعته، أو ربما حتى مفتاح بيته في منطقة وسط البلدة كان

يعلم أنني لا أستطيع النزول لأفتح له الباب وكان يحاول أن يدخل في صمت، معتقدًا أنني ربما غفوت. كل ما استطعت سماعه هو ذلك الضجيج الخافت عند غلق الباب الأمامي. كان أحد تلك المنازل القديمة التي توجد أمامها عدة درجات سلم خشبية، مع باب خارجي مزدوج، والذي يُترك مفتوحًا طوال الليل، ثم دهليز صغير ثم الباب الداخلي، الذي يعمل بمفتاح حديدي بسيط.

يبدو أن الخمر قد جعل يده تهتز قليلًا، على الرغم من أنه واجه هذه الصعوبة مرة أو مرتين من قبل، بدون أن يكون ثملًا حتى. كان من الممكن أن يساعده عود ثقاب في العثور على ثقب المفتاح أسرع، لكن «مام» لا يدخن. كنت أعلم أنه ليس من المحتمل أن يكون معه ثقاب.

توقف الصوت الآن.

لا بد أنه استسلم، ثم رحل مرة أخرى، مقررًا ترك كل شيء على ما كان عليه حتى الغد. لم يتمكن من الدخول، لأنني كنت أعرف طريقته الصاخبة في ترك الأبواب تنغلق من تلقاء نفسها جيدًا، ولم يكن هناك أي صوت من هذا النوع، ذلك الصوت المميز لانصفاق الباب الذي كان يفعله دائمًا. ثم استوعبت الأمر فجأة.

لا أعرف لماذا فهمت في هذه اللحظة بالذات. كان هذا لغزًا من ألغاز أسلوب عمل عقلي الخاص. لمع الأمر مثل رصاصة وصلت إليها شرارة الإطلاق أخيرًا. دفعت تلك الفكرة كل أفكاري بخصوص

«سام»، والباب الأمامي، وهذا وذاك تمامًا من رأسي. كانت تنتظر هناك منذ منتصف ظهر اليوم، والآن فقط ظهرت على سطح بحيرة أفكاري.... المزيد من «رد الفعل المتأخر» هذا.

اللعنة على «رد الفعل المتأخر»!

كانت الفكرة تتلخص في أن كلٍ من وكيل الإيجار و«ثوروالد» بدوا بنفس الطول من نافذة غرفة المعيشة. بعد هذا بدا أن هناك فجوة تتكون من جدار مصمت مرا خلالها، ثم ظهر كلاهما من جديد عند نافذة المطبخ، لكن صار أحدهما أطول من الآخر. حدث نوع من الخلل هناك، وقد أزعجني ذلك. تعمل العين ككاميرا موثوقة. لم يكن هناك أي شيء آخر يجذب الانتباه، كان الأمر يتعلق بطول كل منهما بالتناسب مع الآخر أو أيًا كانت الكلمة المناسبة لوصف هذا. كانت القفزة التي حدثت بالطول رأسية وليست أفقية. هناك «قفزة» لأعلى.

الآن فهمت وعرفت!

لم يسعني الانتظار. كل شيء جاهز. أرادوا جثة؟ الآن لدي واحدة لهم!

سواء كان «بوين» متضايقًا مني أو لا، سيضطر للاستماع إلي الآن. لم أضع أي وقت، فقمت بالاتصال بمكتبه على الفور وسط الظلام، محاولًا تخيل أماكن الأرقام في قرص الهاتف المستلقي في حضني بالذاكرة وحدها. لم يصدروا ضوضاء كثيرة، فقط نقرة خفيفة. لم

تكن حتى مميزة مثل صرير الصراصير الموجودة بالخارج - قال رقيب مكتب الاستقبال:

- لقد عاد إلى المنزل منذ فترة طويلة.

ما لدي من معلومات لا يمكن أن تنتظر.

- حسنًا، أعطني رقم هاتف منزله.

استغرق دقيقة، وعاد مرة أخرى. قال:

- حسنًا. الرقم هو....

ثم لا شيء أكثر من ذلك.

- حسنًا؟ ماذا؟

لا صوت.

- آلو؟

نقرت عدة مرات على زر الهاتف.

- يا عاملة تحويل المكالمات، لقد قطعت مكالمتي. صليني بذلك الرقم مرة أخرى.

لم أستطع الوصول لها هي أيضًا. لم تكن المكالمة قد قُطعت. تم قطع سلك هاتفي!

لقد كان ذلك مفاجئًا للغاية، في منتصف المكالمة .... وأن يُقطع بهذه الطريقة، فلا بد أن ذلك قد حدث في مكان ما هنا داخل

المنزل معي. لأن الأسلاك في الخارج تذهب تحت الأرض. رد فعل متأخر مرة أخرى. هذه المرة نهائي، قاتل، بعد فوات الأوان!

رنين الهاتف منذ لحظات، ونظرة غريبة من شقة الرجل المريب، ومحاولة أحدهم -والذي ظننت أنه «سام»- في الدخول منذ فترة.

شعرت بالموت صار معي فجأة في مكان ما داخل المنزل هنا. ولم أستطع التحرك، لم أستطع النهوض من هذا الكرسي. حتى لو كنت قد وصلت إلى «بوين» الآن، لكان الأوان قد فات. ليس هناك وقت كافٍ الآن لينجدني أحد.

أفترض أن بإمكاني أن أصرخ من النافذة أمام مجموعة النوافذ الخلفية الغافية من حولي. سيجلبهم صوت صراخي إلى نوافذهم ليروا ما سبب الجلبة. لكن لا يمكن أن يجلبهم إلى شقتي في الوقت المناسب.

بحلول الوقت الذي سيكونون قد استوعبوا فيه أي منزل كان مصدر الصوت، سيكون أمري قد انتهى.

لم أفتح فمي. ليس لأنني شجاع، ولكن لأنه كان من الواضح أنه تصرف عديم الفائدة. سيكون زائري بالأعلى هنا خلال دقيقة. لا بد أنه على درجات السلم الآن، رغم أنني لم أستطع سماعه. ولا حتى صرير. الصرير سيكون مريحًا، فعلى الأقل سأعرف مكانه بالتقريب. أما هذا فهو مثل البقاء في الظلام مع كوبرا تزحف في صمت في مكان ما حولك.

لم يكن هناك سلاح في المكان معي. كانت هناك كتب على الحائط، في الظلام، في متناول اليد. أنا لست من النوعية التي تقرأ. كانت كتب المالك السابق. هناك تمثال نصفي لـ«روسو» أو «مونتسكيو»، لم أتمكن مطلقًا من تحديد أيهما، واحدًا من أولئك الرجال ذوي الشعر الغزير على رأسهم. كان تمثالًا من الخزف، لكنه قديم أيضًا، من قبل قدومي لهنا. دفعت نصفي الأعلى لأعلى من مقعدي وأمسكت بالتمثال يائسًا. انزلقت أطراف أصابعي مرتين، ثم تأرجح التمثال مع المحاولة الثالثة، وأنزلته الرابعة في حضني، ودفعني ثقله إلى أسفل في الكرسي.

تذكر أنك حملت رواية أظنها جريمة قتل حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب في خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك.

كان هناك بساط قماشي خفيف تحتي. لم أكن بحاجة إليه من حولي في هذا الطقس، كنت أستخدمه لتليين الأرض تحت الكرسي. سحبته من تحتي وارتديته حولي كعباءة كما يفعل مقاتلي الهنود الحمر. ثم غطست أكثر في الكرسي، وتركت رأسي وكتفي يتدليان على ذراع الكرسي، على الجانب المجاور للحائط. رفعت التمثال إلى كتفي الآخر وقمت بموازنته هناك بشكل غير مستقر كأنه رأس ثانٍ، وهناك بطانية مطوية حول أذنيه. من الخلف، في الظلام، سيبدو، على ما آمل، مقنعًا......

شرعت في التنفس بصوت عالٍ، مثل شخص في نوم ثقيل وهو جالس. لم يكن الأمر صعبا. كانت أنفاسي تقترب من اللهاث من الانفعال على أي حال، ومن التوتر. كان خصمي جيدًا في التعامل مع المقابض والمفصلات والأشياء. لم أسمع الباب ينفتح قط، وهذا الباب، بخلاف ذلك الموجود في الطابق السفلي، كان ورائي مباشرة.

شعرت بهبّة صغيرة من الهواء في الظلام في وجهي. شعرت بها في فروة رأسي. إذا كان الأمر يتعلق بسكين أو ضربة على الرأس، فقد تعطيني المراوغة فرصة ثانية، وأعرف أن هذا كان أقصى ما أتمناه. ذراعي وكتفي ثقيلان. سأتمكن من إسقاطه أرضًا بلكمة قوية، وكسر رقبته أو ترقوته بثقل جسدي فوقه. أما إذا كان معه مسدس، فسينتصر عليّ في النهاية على أي حال. الفارق بضع ثوان. أعلم أنه كان لديه مسدس، فقد أخذه معه ليتخلص مني عندما ظن أني سأقابله في حديقة «ليكسايد». كنت آمل أنه هنا، في الداخل، الكفة الراجحة في جهتي و.... انتهى الوقت!

أضاء وميض الطلقة الغرفة لمدة ثانية، كانت الغرفة مظلمة جدًا. أو على الأقل أضاء زواياها مثل برق خافت ضعيف.

ارتد التمثال على كتفي وتفتت إلى قطع صغيرة.

اعتقدت أنه سيقفز على الأرض لمدة دقيقة بغضب محبط. ثم رأيته ينطلق بجواري ويتكئ على عتبة النافذة للبحث عن مخرج، وانتقل الصوت إلى الخلف وللأسفل، وأصبح مزعجًا كصدى صوت عند باب

الشارع.

نهاية سعيدة نوعًا ما. لكن كان لا يزال بإمكانه قتلي خمس مرات. رميت جسدي إلى أسفل في الشق الضيق بين ذراع الكرسي والحائط، لكن ساقي كانت لا تزال مرتفعة، وكذلك رأسي وذاك الكتف الذي وضعته بالأعلى. استدار وأطلق النار نحوي على مقربة شديدة لدرجة أن الأمر كان أشبه بالنظر إلى شروق الشمس في وجهي. لم أشعر بها، إذن لم تصبني.

- أنت!

سمعته يتذمر بينه وبين نفسه. أعتقد أنه كان آخر شيء قاله. كان بقية حياته كلها رجل أفعال لا أقوال. قفز فوق عتبة النافذة بإحدى ذراعيه وسقط في الفناء. قفزة فوق طابقين. نجا لأنه لم يسقط على الأسمنت، وإنما هبط على رقعة الحشائش في المنتصف.

رفعت نفسي على ذراع الكرسي وألقيت بجسدي إلى الأمام نحو النافذة، اصطدمت بها بذقني أولًا. استمر هو بطريقه. عندما تعتمد حياة المرء على تصرفاته، يكتسب قوة خرافية.

قفز فوق السياج الأول، وتدحرج على بطنه.

قفز فوق السياج الثاني مثل القطة، وقد ثنا اليدين والقدمين معًا في قفزة قوية. ثم عاد إلى الفناء الخلفي لمبناه. نهض فوق شيء ما، تمامًا مثلما فعل «سام» من قبل كان الباقي عبارة عن حركة بالقدم، مع تقلبات لولبية صغيرة سريعة في كل مرحلة من مراحل

الهبوط. كان «سام» قد أغلق نوافذه عندما كان هناك، لكن الرجل أعاد فتح إحداها للتهوية عند عودته فيما يبدو.

حياته كلها تعتمد على كيف سيتصرف الآن. حركة بسيطة لكن صعبة. وصل للطابق الثاني، ثم الثالث.

وصل إلى نوافذه الخاصة. لقد فعلها!

لكن خطأ ما حدث. رأيته ينحرف عنهم بحركة خاطفة قبل أن ينطلق نحو الطابق الخامس، الذي يعلوه. التمع شيء ما في عتمة إحدى نوافذه حيث كان موجودًا منذ ثوان، وتردد صوت طلقة انطلقت نحو ركن المبنى رباعي الزوايا مثل صوت طبلة ضخمة. تجاوز الخامس، والسادس، وصعد إلى السطح. لقد فعلها للمرة الثانية. يا للسماء، كان يحب الحياة ويتمسك بها!

لم يستطع الرجال الموجودين في نوافذه الخاصة الوصول له، لقد كان فوقهم في خط مستقيم وكان هناك الكثير من درجات سلم الحرائق المتشابكة التي تفصله عنهم. كنت مشغولًا بمراقبته لدرجة أنني لم أشاهد ما يدور حولي. فجأة كان «بوين» بجانبي، ينظر.

سمعته تمتم:

- أكره أن أفعل هذا، يجب أن يسقط الآن.

كان الرجل متوازنًا على حاجز السقف هناك، وقد التمعت نجمة فوق رأسه. أظنها نجم الحظ السيئ. مكث دقيقة أطول من المفترض،

يحاول القتل قبل أن يقتلوه. أو ربما انتهى أمره وقد عرف ذلك.

ارتفع صوت طلقة عالية في السماء، وتطاير زجاج النافذة في كل مكان فوقنا، وتقطع أحد الكتب ورائي. لم يقل «بوين» أي شيء آخر عن كرهه القيام بذلك. كان وجهي يواجه ذراعه. تسبب ارتداد كوعه باصطدامه بأسناني.

نفخت بفمي لأزيح الدخان المنتشر بالمكان وشاهدته وهو يرحل. كان الدخان كثيفًا. استغرق الأمر دقيقة لأرى أي شيء، وقف هناك على المتراس. ثم ترك بندقيته تسقط، كما لو كان يريد أن يقول: «لن أحتاج لها بعد الآن.» ثم انطلق بعد ذلك. فاته سلم الحريق تمامًا، ونزل من الخارج. هبط بعيدًا لدرجة أنه اصطدم بأحد الألواح البارزة، في الأسفل بعيدًا عن الأنظار ارتد جسده لأعلى ثانية، مثل منصة الوثب بحمامات السباحة.

ثم أنه هبط مرة أخرى للأبد. وكان هذا كل شيء.

قلت لـ«بوين»:

- فهمت ما حدث. فهمته أخيرًا. بشقة الطابق الخامس، تلك التي فوق منزله، والتي ما زالوا يعملون عليها. كانت أرضية المطبخ الأسمنتية مرتفعة فوق مستوى الغرف الأخرى. أرادوا الامتثال لقوانين الحريق وكذلك الحصول على غرفة جلوس هابطة عن مستوى باقي الغرف، بثمن بخس قدر الإمكان. ابحث وستفهم كل شيء.

ذهب فورًا هناك نزولًا عبر القبو وفوق الأسوار لتوفير الوقت لم تُشغل الكهرباء بعد في تلكم الشقة، كان عليهم استخدام مصابيحهم لم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا خلال حوالي نصف ساعة جاء إلى النافذة ولوح لي بما معناه أني كنت محقًا .

لم يأتِ حتى الساعة الثامنة صباحًا تقريبًا؛ بعد أن قاموا بترتيب المكان وأخذوا كل شيء بعيدًا. كلاهما، جثة القتيلة وجثة القاتل.

قال:

- «جيف»، أريد أن أعتذر لك عن كل شيء. هذا الأحمق اللعين الذي أرسلته إلى هناك بخصوص صندوق الأمتعة، لم يكن خطأه. أنا الملام. لم يكن لديه أوامر للتحقق من وصف المرأة، الأوامر التي وصلته كانت بخصوص التأكد من محتويات الصندوق. تحقق بشكل عام دون اهتمام. عندما عدت إلى المنزل وكنت في السرير بالفعل، وفجأة خطرت ببالي نقطة مهمة! في ذهني، كان أحد المستأجرين الذين سألتهم قبل يومين كاملين قد قدم لنا بعض التفاصيل ولم ينسجموا مع كلامه في عدة نقاط مهمة. كنت بطيئًا للغاية في ربط الأمور ببعضها!

- لقد مررت بهذا طوال الوقت الذي انخرطت فيه خلال هذا الموضوع اللعين.

هكذا اعترفت بحزن. أكملت:

- لقد وصفته بأنه رد فعل متأخر كاد أن يقتلني.

- لكنها مشكلة حقيقية في حالتي. بعد كل شيء، أنا ضابط شرطة وأنت لست كذلك.

- كيف تصادف أن ظهرت في الوقت المناسب؟

- كنا قد جئنا لاصطحابه للاستجواب. تركتهم مزروعين هناك عندما رأينا أنه ليس في الداخل، ثم جئت هنا بمفردي لتسوية الأمر معك أثناء انتظارنا. كيف عرفت بموضوع أرضية الأسمنت تلك؟

أخبرته عن التزامن الغريب:

- ظهر وكيل الإيجار أطول من «ثورولد» عبر نافذة المطبخ، أطول مما كان عليه قبل لحظة عندما كانا يقفان عند نوافذ غرفة المعيشة معًا. لم يكن سرًا أنهم كانوا يضعون الأرضيات الأسمنتية ويضعون فوقها طبقة من الفلين لترفع مستوى الأرضية. لكنها اتخذت معنى جديدًا داخل عقلي. بما أن الطابق العلوي قد انتهي منه منذ بعض الوقت، فلا بد أن يكون فعلها في الطابق الخامس. هذه هي الطريقة التي أظن الأمور قد حدثت بها، فقط من الناحية النظرية. كانت مريضة لسنوات، وكان هو عاطل عن العمل، وقد سئم من كونه عاطلًا، وسئم منها كذلك. قابل تلك المرأة الأخرى.

- ستكون هنا في وقت لاحق اليوم، سوف يعتقلونها ويجلبونها......

- ربما قام بالتأمين على حياة زوجته بكل ما يملكه، ثم بدأ في تسميمها ببطء، محاولًا عدم ترك أي أثر ولهذا السبب، هذا ما أتخيله قد حدث، لم تتحسن صحتها قط. ثم، وتذكر أن هذا مجرد تخمين:

أمسكت الزوجة به في تلك الليلة التي ظل فيها الضوء مضاءً طوال الليل. أمسكت به بطريقة أو بأخرى وهو يضع لها السم على الأرجح.

وهنا فقد عقله، وفعل الشيء الذي كان يتجنب فعله طوال الوقت. قتلها بطريقة عنيفة - خنق أو ضربة. كان لا بد من ارتجال الباقي على عجل. لقد ارتاح منها للأبد، وبشكل أفضل مما كان يتوقعه. فكر في الشقة في الطابق العلوي، صعد ونظر حوله. لقد انتهوا لتوهم من وضع الأرضية، ولم يتصلب الأسمنت بعد، وكانت المواد لا تزال موجودة. انتزع منها حوضًا عريضًا بما يكفي ليحتوي جسدها، ووضعها فيه، وخلط الأسمنت الطازج ووضع طبقة فوقها، ربما رفع المستوى العام للأرضية شبر واحد أو اثنين حتى يتم تغطيتها بأمان. وهكذا حظيت الزوجة بنعش دائم عديم الرائحة. في اليوم التالي عاد العمال، ووضعوا سطح من الفلين فوقها دون أن يلاحظوا أي شيء، أفترض أنه استخدم مجرفة من أدواتهم لتسوية الأرضية فلا يظهر اختلاف.

ثم أرسل عشيقته لشمال الولاية سريعًا، بالقرب من المكان الذي كانت فيه زوجته قبل عدة فصول الصيف، ولكن إلى مزرعة مختلفة حيث لن يتم التعرف عليها، ومعها مفاتيح صندوق المتاع. أرسل صندوق متعلقات القتيلة وراءها، وأرسل لنفسه بطاقة بريدية مستخدمة بالفعل لصندوق بريده، مع الحرص على عدم وضوح تاريخ السنة. في غضون أسبوع أو أسبوعين من المحتمل أنها ستقوم مع الحرص على عدم وضوح تاريخ السنة. في غضون

أسبوع أو أسبوعين من المحتمل أنها ستقوم بـ«الانتحار» هناك بصفتها السيدة «آنا ثوروالد». السبب الظاهري وقتها سيكون اليأس بسبب اعتلال الصحة وعدم الأمل في الشفاء. ستكتب له رسالة وداع وتترك ملابسها بجانب شط يطل على جزء عميق من البحر. كان الأمر محفوفًا بالمخاطر لكن هناك احتمال أن ينجحا في تحصيل التأمين لو نجحت الخطة....

بحلول التاسعة كان «بوين» والباقين قد رحلوا.

كنت ما زلت جالسًا على الكرسي، منتبهًا جدًا بلا قدرة على النوم. جاء «سام» وقال:

- هنا دكتور «بريستون».

ظهر وهو يفرك يديه بتلك الطريقة المميزة له.

- أعتقد أننا يمكن أن نزيل ذلك الجبس من ساقك الآن. لا بد أنك قد سئمت من الجلوس هناك طوال اليوم دون القيام بأي شيء!

تمت